دور العمل المعنوي والمعنويات في انتصار الثورة المهدية (يونيو/1881 – يونيو /1885م)

د. محمد المصطفى أبو القاسم مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر -السودان

المستخلص:

تحاول هذه الورقة تحليل وتقييم دور العمل المعنوي والمعنويات في إنجاح الثورة المهدية، وتبحث في شخصية المهدي كرجل دين وزعيم ثائر، وميزاته الشخصية في القيادة ووضع خطط وبرامج العمل المعنوي وإنفاذها منذ فترة ما قبل المواجهة العسكرة ضد القوات المصرية وإثنائها من ثم عن الاستيلاء على الخرطوم في 26/يناير /1885م. وقد حقق المهدي نجاحاً غير مسبوق في مجال العمل الدعائي والدعوي بكل أشكاله مستفيداً من فكرة المهدي المنتظر مما أكسبه شعبية وشرعة في إنتشار أفكاره في أوساط السودانيين المحيطين والقائمين ، وإستطاع إجتذابهم لمبايعته على الجهاد في سبيل الله ضد ظلم وفساد الحكم التركي – المصري .لذا فقد أصاب المهدي نصراً حاسماً في أغلب المعارك في حين أن الحكومة لم يكن لديها برنامج عمل معنوي ذو فطر ونتيجة لذلك فقد صارت القوات المصرية تقاتل في حالة من الخوف والذعر وزاد من هبوط معنوياتها ما قام به المهدي من عمل دعائي ناجح لذا فرغم ما كانوا يمتلكون من أسلحة نارية كافية ومدفعيات وخبرات لم يستطيعوا تحقيق نصر. ومما تقدم نستنتج :إن العمل المعنوي لا يقل أهمية عن الجوانب المادية ، وأن القوة المادية وحدها قد لا تكفي لتحقيق النصر في بعض الأحيان.إن الحكومة تجاهلت دوافع الثورة الوطنية الحقيقية وركزت في حربها الدعائية على أن المهدي ليس المهدي المنتظر ، وهو أمر لم يكن ذا تأثير.إن العمل بنظام الشورى والفريق المتجانس يؤتي ثماراً أكثر من الإنفراد بإتخاذ القرار.رغم اعتراف الجنرال غردون بأن ثورة المهدي ليست دينية وإنما ثورة أسبابها الفساد والقمع التركي ، إلا إنه لم يكن الرجل المناسب لإخلاء الحاميات المصرية من السودان بطريقة سلمية دبلوماسية تحقن دماء المصريين والسودانيين .

Umar The Role of Moral Operation and Morale in the Victory the Mahdist Revolution (June 1881- June 1885)

Muhammad Almstafa Abualqasim

Abstract:

This paper endeavors to analyses and evaluate the role of moral operations and morale in the victory of the Mahdistrevolution . It deals with the Mahdi s· character as a religious revolutionist ringleader, into personal qualities of leadership and into creation and execution of moral orientation programmers before and during the military confrontation with the Egyptian forces in the Sudan till he captured Al-Khartoum in 25 January 1885.The Mahdi achieved an outstanding success in all sorts of propaganda . He utilized the concept of the expected Mahdi, so his propaganda gained popularity and swift cliff union amongst most of the frustrated and discontent Sudanese people . He was able to attract them to pay homage to him in for the jihad in the path of God against injustice and immorality of the Turko- Egyptianrole .So the Mahdi achieved decisive victory in the most of battles ,meanwhile the government had no effective moral orientationprogrammers . As a result the Egyptian forces fought with uneaseconsciences and demoralized by the success of the Mahdistpropaganda , though they had enough firearms results :The moral orientations is very important like the other military forces , and in some cases material forces can not achieve victory alone .Ignoring the real causes of the Mahdistrevolt , the Government concentrated its propaganda on denying that Muhammad Ahmed is the expected Mahdi .To adhere consultation and attain homogenous of the staff is more fruitful than to be intransigent in views and neglecting to seek advice .Although the GeneralGordon confessed that the causes of the Mahdist revolt were corruption and suppression of the Turks ,He was not the suitable manto command the mission of evacuation of the Egyptian garrisons from Sudan by peaceful and diplomatic Maneuvering without bloodshedding of Sudanese and Egyptians.

مقدمة :

المقصود بالعمل المعنوي هنا ؛ كل الأساليب المعنوية التي استخدمت قبل وأثناء المواجهة العسكرية بين محمد أحمد المهدي والإدارة التركية – المصرية وجيشها في السودان على المستويين التكتيكي والاستراتيجي ، عبر الوسائل المتاحة في ذلك الزمان بغرض إحداث التأثير المعنوي الذي قد يؤدي إلى تحقيق الأهداف الاستراتيجية من قبل الطرفين . وفي الواقع فإن العمل المعنوي بأشكاله ووسائله المختلفة مهم للغاية في وقت السلم وأثناء الحرب على حدٍ سواء. ذلك لأنه مرتبط بالجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، إلى غير ذلك من الجوانب التي تخص كافة أفراد الشعب ومعنوياتهم .ويتميز العمل المعنوي كالإرشاد والتوجيه والحرب النفسية بأنواعها وأشكالها المختلفة-بأنه عمل يظل مستمراً دونما إنقطاع. فالحرب النفسية مثلاً، تكتيكية كانت أو إستراتيجية غالباً ما تسبق العمليات الحربية ، وتستمر أثناء العمليات ولا ينتهي دورها حتى بعد انتهاء العمل العسكري حيث تستمرعمليات الحرب النفسية الوقائية والتطعيم المعنوي إلى غير ذلك في وقت السلم استعداداً لمواجهة الأعداء في أي عمل عسكري مرتقب وهذا أمر طبيعي إذا علمنا أن لفظة الحرب مشتقة المعنى من الحرب ؛ وهو الجدل والخصام والحسد وكما يقول نصر بن سيار :

فإن النار بالعودين تزكى وإن الحرب أولها الكلام [1]:

وبهذا الفهم فما الحرب – بمستوياتها وأنواعها المختلفة – إلا وسيلة لتحقيق أهداف مرتبطة في حقيقتها بجوانب معنوية أهمها إمتناع الطرف الآخر بعدم جدوى القتال والمقاومة ، وأصوبية اللجوء إلى التفاوض وصولاً إلى الحلول السلمية ، أو الإحساس بالهزيمة والاستسلام وهو قرار ينتج عن دافع معنوي أيضاً . ويبدو أن العمل المعنوي يتميز بأنه أكثر شمولاً من العمل العسكري ، لأنه لا يوجه للمقاتلين فقط بل يستهدف :

«التأثير في سلوك وإرادة ومعتقدات وعواطف وإتجاهات كل العناصرالمحلية والإقليمية والدولية ، معادية كانت أو صديقة أو محايدة».[2]وقد نجح المهدي في استغلال تلك المميزات إلى أقصى درجة وعلى كل المستويات المحلية والخارجية .

تاريخ فكرة المهدي المنتظر :

ارتبطت الثورة المهدية بفكرة المهدي المنتظرمما أكسبها شعبية وسرعة انتشار في الداخل والخارج ، وذلك لتأصل الفكرة في أغلب بلاد العالم الإسلامي وهي فكرة نمت وترعرعت في أوساط كثير من الفرق الإسلامية بخاصة الشيعة ، وذلك منذ بداية خلافة معاوية بن أبي سفيان الأموي (40 هـ - 661م/60-680م) حيث تحولت الخلافة إلى ملك وراثي ، ثم جاء العباسيون وأقاموا خلافتهم باعتبارها موروثة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تبع ذلك تفشي الظلم والاضطهاد والقهر والتسلط الذي استمر حتى أيام الأتراك العثمانيين وإزداد الأمر سوءاً بالوجود الاستعماري الأوربي ، فتولدت فكرة ظهور منقذ ومخلص يملأ الأرض عدلاً وأمناً منذ ذلك الزمن وصارت المهدية فكرة راسخة لدى كثير من المسلمين على مر الأيام بخاصة في مصر وشمال إفريقيا وبلاد ما يسمى

بالحزام السوداني وظهرت الأمامة عند الشيعة والولاية عند الصوفية والإصلاح عند أهل السنة ، في أمر المهدي . وقد أورد إبن خلدون في مقدمته أحاديث نبوية كثيرة في أمر المهدي منها الصحيح ومنها الضعيف[3]. إلا أن هذه الأحاديث لم ترد في كتب الرواة المشهورين كالبخاري ومسلم ، ولا نجد ذكراً للمهدي المنتظر في القرآن الكريم ن بل ورد كثير من الآيات التي تدل على أن الهادي هو الله سبحانه وتعالى ، وعلى سبيل المثال ما جاء في سورة الكهف (الآية 17):

«....مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا» وفي سورة محمد (الآية 17):.

((وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) أي زادهم هدىً وثباتاً وعلماً وبصيرة.ومهما يكن من أمر فقد أشارابن خلدون إلى أن المسلمين في مختلف العصور يعتقدون أنه لا بد من ظهور رجل من آل البيت في آخر الزمان يؤيد الدين وينشر العدل ويتبعه المسلمون ويستولى على بلاد المسلمين كافة ويسمى المهدي [4] . وبهذا الفهم فإن محمد أحمد بن عبدالله مهديٌ هداه الله ، وهو منتظر من قبل السودانيين الذين كانوا يعيشون ظروفاً سياسية واقتصاديةواجتماعية سيئة في ظل الحكم التركي الشركي. والمهدي لم يكن أول مهدي يظهر في بلاد العالم الإسلامي في العصور الوسطى والحديثة. ففي بلاد المغرب العربي ظهر محمد أحمد المهدي بن تومرت (524هـ- 1131م/ 541هـ- 1148م) وهو زعيم حركة الموحدين السنية الإصلاحية[5]. ويقال ان شيخاً صوفياً وعالماً جليلاً ووليا يدعى بدر الدين تمرد وقام على السلطة العثمانية وأعلن الثورة في إقليم دبروجان على أيام السلطان محمد الأول (1413-1421م) وكان يدّعي أنه من الأسرة العثمانية الحاكمة ، وأنه هو المهدي المنتظر وأنه ينتظر الإشارة من عالم الغيب كي يقود تلاميذه ويستولي على السلطة . [6]

كما أدعى محمد عبدالرحمن السعدي المهدية في درعة بجنوب المغرب، وقام على أساس دعوته النظام السياسي للدولة السعدية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي . [7]وفي سنار ادعى الشيخ أحمد النحلان المهدوية على أيام السلطان السناري بادي أبو دقن (1052-1088هـ/1643-1678م)[8].وفي بلاد الجولف بالسنغال أعلن أحد شيوخ التجانية نفسه مهدياً ليرشد الفوتاتورو إلى الإسلام الصحيح وكان ذلك في عام 1828م . [9]

وقد ادعى كثير من المصريين المهدوية منذ فترة سابقة للقرن التاسع عشر. وفي عام 1875م تحديداً ادعى المهدوية شخص يدعى محمد الطيب وثار كثير من قرى الصعيد تأييداً له وبدأ في حركة إصلاحية في مديرية جرجا إلا أنه قتل ومن معه ودمرت قريته .وبعد فترة من الزمن تجرأ أحد المسنين وتحدث عن ذلك المهدي فحكم عليه الخديوي إسماعيل بالإعدام .[10]وعلى أيام المهدي نفسه أدعى رجل يدعى فخر الدين حسن مهلاوي المهدية في عام 1884 وكاتبه المهدي في هذا الشأن راجياً هدايته . [11]

أما محمد أحمد بن عبدالله المهدي فقد أعلن أنه المهدي المنتظر في يونيو 1881م في وقت كانت البلاد تعيش في حال من الظلم والقهر والجشع والفساد الاجتماعي ووجود أجنبي غير مرغوب فيه مما جعل الجنرال غردون يقول أن ثورة المهدي ليست دينية بل سياسية ضد

ظلم الأتراك الشراكة ، وأن الدين غشاء خارجي . [12] ويقول يوسف ميخائيل وهو قبطي من مواليد الأبيض – أن الناس كانوا ينتظرون قدوم المهدي المنتظر نظراً لسوء الأحوال في السودان .[13] لذا فإن كان نصيب تلك الحركات التي مر ذكرها الفشل ، [14] فإن ثورة محمد أحمد المهدي حققت نجاحاً غير مسبوق، إذ تمكن المهدي من وضع أسس لدولة عظيمة متكاملة البناء بعد طرد القوى الاستعمارية . ويبدو ان هنالك عوامل كثيرة أدت إلى ذلك النجاح ، إلا أن هذه الورقة تحاول البحث في دور العمل المعنوي والمعنويات في إنتصارات الثورة بإعتباره من أهم العوامل ، ومتابعة الكيفية التي أدار بها المهدي الشؤون المعنوية منذ بداية الثورة حتى تم له السيطرة على البلاد بمهارة وإقتدار .

شخصية الإمام محمد أحمد المهدي (1844/8-1885/6/20م) :

هو رجل شاب حباه الله سبحانه وتعالى بصفات شخصية ومواهب قيادية جعلت معاصريه يصفونه بأنه شخصية كارزمية يمتلك القدرة على إجتذاب الناس والتأثير في نفوسهم ، مع تمتع بوسامة تضفي عليه هالة من الجلال والمهابة ، وصفه الأجنبي أوهرولدر (Father Oherwalder) قائلاً :

«... منذ أيام حياته الأولى ظهر للناس مدى جديته وتشدده... مظهره أخاذ. فهو طويل القامة ، قوي البنية ، لا تفارق وجهه الإبتسامة... يسحر المستمع بحديثه...»[15]

كان خطيباً بارعاً جهوري الصوت تصل كلماته لآلاف المصلين والمستمعين عقب كل صلاة ، يقول عنه ونجت باشا (F.R Wingate) :

«...إن المستمعين لخطبة ووعظه وإرشاده كانوا يضربون صدورهم ويبكون ...ان شكله يتغير وتظهر القوة الكامنة فيه ... كانت خُطبه تحرك مشاعر الناس ... ما من شك في أن المهدي كان يتمتع بأذكى عقلية وأصفى وضوح رؤية أكثر من أي شخص في بلد المليون ميل مربع الذي صار فيه صاحب الكلمة العليا بلا منازع . [16]

الشيخ محمد شريف وممارسة الحرب النفسية والدعاية ضد المهدي :

بعد أن حفظ القرآن الكريم ودرس اللغة العربية وتفقه في الدين على أيدي كثير من الشيوخ ، دخل في سلك الصوفية مع الشيخ محمد شريف نور الدايم السماني في أم مرح حتى عام 1878م حيث ظهر للشيخ مدى قوة شخصية تلميذه وإنضباطه وما يتحلى به من صفات حميدة فقرّبه وصار يعامله معاملة خاصة وشيَّخه ومنحه راية وأفسح له المجال لنشر الطريقة السمانية. لكن حين أحسّ المهدي بإزدياد أعداد مريديه أسر لشيخه بأنه المهدي المنتظر ، وعرض عليه أن يكون وزيراً ومستشاراً له ، فزجره الشيخ وعقد مجلساً لاثنائه عن ذلك في الجزيرة أبا وحاول إغراءه بالمال والعقار لترك أمرالمهدية فأبى . [17] فما كان من الشيخ إلا أن أمر أتباعه بضربه إذا ما حاول إجتذابهم إلى دعوته، بل ذهب أبعد من ذلك إذ حاول إقناع قائمقام الكوة بزج محمد أحمد في السجن قمعاً لحركته ودرءاً لحظر استفحال أمره ولم ينجح في ذلك ، فلجأ إلى تعيين شيخ في قرية قريبة من أبا لإجتذاب المريدين وإيقاف إنضمامهم إلى جانب المهدي ، دون جدوى .

وصل عداء الشيخ محمد شريف للمهدي درجة جعلته يستخدم القوة الجنائية ضده فتعرض للضرب وكسرت يد علي ود حلو في تلك العملية المحدودة التي كان الغرض منها تخويف المهدي وإثنائه عن فكرته وظل الشيخ محمد شريف يمارس عمله الدعائي ضد المهدي وفكرته ووقف إلى جانب الحكومة ، ويقال أنه كتب قصيدته الشهيرة عام 1882م بإيعاز من عبدالقادر باشا حلمي أنكر فيها إدعاء محمد أحمد المهدوية إلا أنه لم ينكر ما يتحلى به المهدي من صفات حميدة وثبات وعزم . [18]

وهنا يبدو تساؤل ؛ لماذا وقف الشيخ محمد شريف هذا الموقف ؟

أولاً: يقال أن الشيخ نفسه كان طامعاً في السلطة قبل ظهور محمد احمد المهدي وتبنى مشروعاً استراتيجياً يهدف إلى إيجاد بديل صوفي لسلطة الأتراك في السودان إلا ان شقيقه عبدالمحمود نور الدايم أثناه عن تلك الفكرة على إعتبار أنها جري وراء السلطة والجاه ليس غير .[19]

ثانياً : يبدو أن فكرة المهدوية ولدت عند المهدي ولها أسنان وذاع صيت المهدي بين الناس مما غطى على شخصية شيخه الذي ربما كان يمني النفس بالوصول إلى مكانة رفيعة لما له من علاقة بالحكومة بحكم مركزه الصوفي،[20]بل يقال أنهرشح نفسه لدى السلطان العثماني ليقوم بإصلاح الأحوال في السودان ومعارضة المهدي ومهدويته ومناهضة النفوذ البريطاني في السودان ، ولذا يبدو أن تضارب مهدوية المهدي مع مصالحه الشخصية هو الذي جعله يقف ذلك الموقف وينظر للمهدي نظرة لا تخلو من غيرة وحسد وظل معارضاً للمهدية ووقف إلى جانب الحكومة إلى أن سقطت الخرطوم فصار أمام الأمر الواقع وإنضم إلى المهدي .

ظهور استراتيجية المهدي الإعلامية والتخطيط المبكر للعمل المعنوي :

قرر المهدي الإنضمام إلى شيخ سماني آخر هو الشيخ القرشي ود الزين الذي لم يتردد في تلبية رغبته رغم محاولات الشيخ محمد شريف الرامية إلى ابعاده عن الشيخ القرشي والطريقة السمانية. وقد أثنى عليه الشيخ القرشي وزوجة ابنته وشيخه ومنحه الإجازة ولم ينكر عليه مهدويته [21]وقبل وفاته أوصى بتنصيبه شيخاً على اتباعه فوقف إلى جانبه آل الشيخ القرشي وأولاد الشيخ أحمد الطيب البشير ومؤسس الطريقة السمانية، وتجرع الشيخ محمد شريف كأس الهزيمة المعنوية النكراء في حربه الدعائية ضد المهدي ، بخاصة حين أعلن المهدي أن سبب الخلاف مع الشيخ محمد شريف هو أنه كان يقوم بأعمال مخالفة للكتاب والسنة .[22] وتحت رعاية شيخه القرشي ظهرت استراتيجية المهدي الإعلامية وبدأ في نشاطه المعنوي التعبوي بزيارة كثير من القرى والمدن النيلية ن إلا أنه ركز على كردفان وعاصمتها الأبيض فزارها في عام 1879م ربما لأسباب كثيرة كالاستطلاع والتأكد من صلاحيتها كمنطقة لتجمع قبلي بعيدة عن السلطة المركزية ، كما أن الأبيض تمثل ملتقىً لطرق تجارية مهمة حيث يتواجد فيها كبار التجار من جعليين ودناقلة وغيرهم ، وأن أهل كردفان ودارفور يقدرون كل القادمين من جهة الشرق (دار صباح) . ويبدوا أن المهدي قرر الإنطلاق من كردفان فسجل زيارة أخرى للأبيض برفقته الخليفة عبدالله حيث بدأ في إنفاذ برنامجه التعبوي ولقاءاته الجماهيرية بالطواف على المدن والقرى وتقديم برامج دعوية

ودعائيـة ، [23]بغـرض نـشر فكـرة المهديـة في أوسـاط المصلـين، وعقـد اللقـاءات التنويريـة مـع زعـماء الصوفيـة وعامـة النـاس ، وبـث رسـائله الخاصـة بـتردي الأحـوال وتفـشي الظلـم والفسـاد الاجتماعـي وتـرك السـنن، وإعـلان أن مهدويتـه جـاءت بأمـر مـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ، ودعـوة النـاس للإنضـمام إليـه.[24]، وبالإضافـة إلى نشـاطه الدعـوي فقـد إنتهـج المهـدي أسـلوباً دعائيـاً فريـداً مكنـه مـن تحقيـق أهدافـه المعنويـة .

فبـدأ بتوحيـد زي أتباعـه بإرتـداء الجبـة المرقعـة والطاقيـة ذات الشـكل المخروطـي والطريقـة المعينـة في لبـس العمامةبتوفير جـزء منهـا يتـدلى عـلى الكتـف الأيـسر (العزبـة) ، وحمـل العصا والمسـبحة والإبريـق ، وهـذا يعطـي الإحسـاس بالإنتـماء الفعـلي للجماعـة والإنضبـاط والشـعور بالمسـؤولية والإلتـزام وفي ذات الوقـت هـذا المظهـر يعتـبر وسـيلة اتصـال مرئيـة تحتـوي عـلى رسـالة مدهشـة ومختـصرة ، فحـين يشـاهد المواطـن هـذا الـزي المميـز تصـل إليـه الرسـالة فيفـك طلاسـمها بخيالـه ، فالجبـة المرقعـة قـد تعـبر عـن الزهـد إلا أنهـا قـد تـدل أيضـاً عـلى الوحـدة وقـوة التنظيـم والإنضبـاط ، إضافـة إلى الأهميـة التكتيكيـة في ميـدان القتـال ، كـما أن لبـس الطاقيـة المخروطيـة وطريقـة لبـس العمامـة تميـز أنصـاره عـن غيرهـم. أمـا الإبريـق فيعـبر عـن الطهـر وكـثرة الوضـوء وأداء الصلـوات ، المسـبحة تعـبر عـن التقـوى والـورع ، والعصـا سـلاح للدفـاع عـن النفـس والجهـاد في سـبيل اللـه ، هـذا إضافـة إلى العـرض العسـكري الأسـبوعي فيـما بعـد وقيـام شـباب الأنصـار في مقابلـة شـباب الختميـة . وعـلى هـذا فبمجـرد أن تكتمـل هـذه اللوحـة في ذهـن المواطـن يتولـد لديـه الإحسـاس بـضرورة الوحـدة والإنتـماء، والرغبـة في الإنضـمام لأنصـار المهـدي في تلـك الظـروف السـيئة التـي كان يعيشـها السـودانيون تحـت نـير قـوى نظاميـة أجنبيـة. وبالإضافـة إلى ذلـك فـإن المهـدي ظـل يمـارس الدعايـة المسـموعة وذلـك بالطـواف ليـلاً مـع أتباعـه حتـى طلـوع الفجـر وهـم يـرددون الجـلالات مثـل «الدايـم هـو الدايـم اللـه» وقـد نقـل لنـا يوسـف ميخائيـل صـورة متكاملـة لذلـك النشـاط ونتائجـه قائـلاً :

«... وصـارت أهـل كردفـان تـزوره لأجـل أخـذ البركـة ... واشـتهر اسـمه... والرجـل صاحـب علـم زادت محبتـه في قلوبهـم وفرحـوا بـه فـرح شـديد مـن شـدة تواضعـه وحـلاوة مقالـه ... كأنـه يسـقي في أرض عطشـانة حتـى غـرس محبتـه في قلوبهـم وحفـر الأسـاس في كردفـان ... وفي أثنـاء سـفره ينـزل مـع المشـايخ ... وكافـة رؤوس القبائـل المشـهورة وتراكمـت عليـه العربـان في الطريـق والحـلالات...»[25]. وفي طريـق عودتـه مـن الأبيـض طـاف بمملكـة تقـلي وضمـن وقـوف الملـك آدم دبالـو في الحيـاد وعـدم إفشـاء أسرار المهديـة . [26] وصنـع المهـدي خطـة إعلاميـة ارتكـزت عـلى الإقنـاع والتبشـير والتحذيـر مـع اسـتمرار الدعـوة والإرشـاد والتنويـر المسـتمر عـن طريـق الرسـائل والمنشـورات واللقـاءات وإرسـال المناديـب إلى القبائـل والجهـات المختلفـة دحضـاً للشـائعات وقـد اتبـع المهـدي نظـام الشـورى ، فـما كان يقطـع في أمـر إلا بعـد موافقـة مجلسـه ونلحـظ أنـه كان يخطـط لهـذا العمـل وينفـذه بنفسـه .

إتصـل المهـدي بكبـار الشـيوخ والزعـماء والفقهـاء ودعاهـم لمبايعتـه عـلى الجهـاد في الجزيـرة أبـا ونتـج عـن ذلـك وقـوف كثـير مـن الشـخصيات المهمـة كالشـيخ محمـد الطيـب البصـير وغـيره[27]. ولم تكـن الحكومـة عـلى علـم بمـا يـدور، ولم يهتـم رؤوف باشـا بأمـر المهـدي رغـم تحذيـر الشـيخ محمـد شريـف إلا بعـد أن إطلـع عـلى منشـورات المهـدي وجـاءه التأكيـد مـن المهـدي نفسـه .

بدايات المواجهة العسكرية واستعداد الحرب النفسية :

كُلِّفَ محمد بك أبو السعودبالقاء القبض على المهدي واستخدم شتى الوسائل كالاستعانة بأقرباء المهدي مستغلاً علاقة رؤوف باشا بهم كأحمد شرفي وغيره ، ووصل إلى درجة استخدام وسائل التهديد والتخويف، إلا أنه لم يحقق نجاحاً بل فوجئ بمدى صلابة المهدي وقوة عزيمته ، والمعنويات العالية التي يتمتع بها اتباعه واستعدادهم للجهاد والموت في سبيل الله وتصريحهم بذلك أمام ابو السعود نفسه وذلك على الرغم من قلة عددهم في ذلك الوقت فعاد أبو السعود بخفي حنين في 1881/8/7م .

أيقن المهدي أن المواجهة العسكرية صارت أمراً متوقعاً ولا بد من المحافظة على الروح المعنوية العالية فجمع المجاهدين وخطب فيهم قائلاً :

«... إن الترك رجعوا لطلب المدد وسيعودون لقتالنا فمن كان منكم خائفاً على أولاده وأمواله فليخرج منا فنحن سامحون له وبيعتنا التي في أعناقكم ليس عليكم فيها حرج فإن سلمنا فعودوا إلينا...» فأثارت هذه الكلمات مشاعر انصاره الحاضرين فقام أحدهم وقال :

«... يا سيدنا نحن بايعناك على الموت ورضينا بذلك ولا نرغب بنفسنا عن نفسك بل نحن معك حيثما توجهت فمر بما شئت فنحن لك سامعون ولأمرك مطيعون...».[28]

يذكرنا هذا الموقف بموقف الأنصار في المدينة المنورة حين أراد الرسول صلى الله عليه وسلم التأكد من صدق ولائهم ومشاركتهم في محاربة الكفار قبل غزوة بدر الكبرى[29].فقد تصدى المهدي وأنصاره لسريتين بقيادة محمد أبو السعود الذي جاء ليقضي على المهدي فقضى المهدي على تلك القوة العسكرية برجاله المسلحين بالسيوف والرماح في 1881/8/12م.

تتحدث كثير من المصادر عن أسباب هزيمة تلك القوة المسلحة بالأسلحة الحديثة كعدم وجود قيادة موحدة للقوة ، وأن أبو السعود لم يكن مؤهلاً لقيادة تلك القوة ، ويقول شهود عيان أن بعض جنود الحكومة ماتوا برصاص زملائهم [30]إلا أن تلك المصادر تجاهلت المعنويات العالية التي كان يتمتع بها المجاهدون ، وقوة إيمانهم بقضيتهم والتفافهم حول قيادتهم على عكس قوات الحكومة التي كانت تفتقر إلى القيادة ودوافع القتال وبالتالي انخفاضروحهم المعنوية فتجرعوا كأس الهزيمة ولم ينج منهم إلا العدد القليل الهارب وجمعت اسلحتهم غنيمة لجيش المهدي .ويهمنا هنا ان هذا النصر زاد من ارتفاع معنويات المجاهدين، كما أدى انتشار أخباره إلى توافد المواطنين إلى المهدي بأعداد كبيرة . وفي طريقه إلى جبل قدير حاول الملك المختار اعتراض جيش المهدي في جبل جرادة فَهُزم وقتل في 24/أكتوبر 1881م. كما حاول راشد بك استغلال معاناة المهدي وجيشه من داء الحمى فجهز 400 جندي نظامي وألفاً من الشلك لمباغتته والقضاء عليه إلا أن امرأة تدعى رابحة الكنانية أسرعت وأبلغت المهدي بخبر مسير تلك القوة فتصدى لها بجيش قوامه 8.000 مقاتل في حين أن عدد الذين قضوا على قوات أبو السعود كان 350 مقاتلاً فقط بما يشير إلى نجاح عمليات المهدي في مجال الدعاية والاستنفار وشحذ الهمم ففي 1881/12/9م تدمير قوات راشد بك ولم ينج منهم إلا القليل وجمعت الاسلحة والذخائر غنيمة لجيش المهدي ، والأهم من ذلك أن خبر

إنتصارات المهدي انتشر في كل أنحاء السودان وشاع بين الناس أن نيران جيش الحكومة لا تصيب أنصار المهدي وأن المهدي يحارب بسيف القدرة ....إلى غير ذلك[31].

حشدت الحكومة 13 سرية (حوالي 1300 مقاتل) و 1500 من عساكر الخرطوم وسنار والأبيض بقيادة يوسف الشلالي الذي حاول إقناع المهدي بالتسليم وكان طبيعياً أن لا يجد من المهدي سوى السيف فقد بلغ عدد المقاتلين في جيش المهدي هذه المرة خمسة عشر ألف مقاتل وفي يوم الإثنين 29/مايو/1882 خرج المهدي بعد صلاة الصبح شاهراً سيفه وخاطب المجاهدين وحرضهم على القتال فتم تدمير قوات الشلالي ولم ينج منهم إلا الهارب .

كان طبيعياً أن تخلق هذه الانتصارات رأياً عاماً في أوساط أغلب السودانيين عن سمو مكانة المهدي ومدى قوته كزعيم ، وصدق مهدويته، ونتج عن ذلك تضاعف أعداد المقاتلين تحت قيادته ، كما توافد عليه كثير من شيوخ القبائل والفقهاء ، وقد عبر عن ذلك نعوم شقير قائلاً :

«...وهذا النصر المتتابع...أدهش عالم السودان كافة وحط من كرامة الحكومة في أعينهم بقدر ما رفع من كرامة محمد أحمد فلقد كان للحكومة قبل الآن سطوة عجيبة في البلاد حتى كان جنديها الواحد يرهب رهطاً من الأهلين وقد مرَّ عليها ستون سنة ونيف لم تظهر خلالها بغير مظهر القوة والبطش...والآن قام فقيه خامل الذكر وضيع الشأن بنفر معدود من المستضعفين الجياع فتغلب على سراياها القوية ...وما زال يهددها ويستعد لمناوأتها فلم يبق للعامة ريب في أن هذا الفقيه هو المهدي المنتظر ، وأن نصره من الله فهاجروا إليه من كل فج...»[32]. وبدأ المهدي في استثمار ذلك النجاح وفاستنفر بعض الشيوخ والزعماء وأرسل الدعاة لمبايعة الناس وحضهم على الجهاد ، فظهر أحمد المكاشفي الذي استولى على النيل الأزرق وشمال سنار وقطع خط التلغراف الذي كان يصل سنار بالخرطوم ، وفضل الله ودكريف الذي قطع خط التلغراف ما بين الكوة والمسلمية في نهاية عام 1882م وقد إنضم كثير من عرب رفاعة الهوى إلى ود الصليحابي والفقيه محمد زين التكروري وود برجوب معلنين الجهاد ويرددون الجلالات منها :

«الجنة جات قريبة تحت المدفع وتحت الزريبة»

وما إن وصلت أنباء إنتصارات المهدي إلى بعض القبائل الجنوبية ببحر الغزال حتى هاجر إليه الكثيرون وبايعوه وسمح لهم بالعودة إلى بلادهم ولم يكرههم على شيء بل بشرهم بالاستقلال التام قائلاً :

(...أذهبوا وأخرجوا الترك من بلادكم ومتى ما أخرجتموهم فلتكن بلادكم لكم لا ينازعكم فيها أحد ...) وهذا قرار فيه بعد نظرفقد كان لهم عدة وقائع مع جيش الحكومة وظلوا يرددون الجلالة «الدائم هو الدائم الله» ومن جانب آخر فإن تلك الإنتصارات قادت إلى إنتصارات أخرى إذ خاضت بعض القبائل في كردفان ، كالبديرية والحوازمة والحمر والغديات معارك ضارية ضد جيش الحكومة الذي تقهقر إلى الأبيض .[33]

يرى هولت (P.M.Holt) أن ذلك يكشف عن ضعف الجانب العسكري للإدارة التركية – المصرية ، وأن قوات الحكومة – رغم تفوقها على قوات القبائل المذكورة من ناحية العتاد الحربي

كالأسلحة النارية الخفيفة والمدفعيات ، إلا أنها كانت تفتقر إلى المرونة والتأقلم والإخلاص والتفاني وعدم توفر القوى البشرية بالمقارنة مع الثوار.[34]إلا أنه لم يتحدث صراحة عن الإعداد المعنوي والروح المعنوية العالية التي يتمتع بها الثوار الذين يقاتلون تحلت قيادة وطنية ثائرة ضد قوى استعمارية ، تشدهم عدالة القضية وتدفعهم إلى القتال بشكل تلقائي ، الأمر الذي لا يتوافر لعساكر الحكومة وضباطها ، مع توافر معلومات مؤكدة عن عدم رغبة المصريين في العمل في السودان منذ بداية الوجود التركي – المصري في السودان[35].

كان من الطبيعي – بعد هذه الإنتصارات – أن تبدأ دولة المهدية في الظهور على مستوى الرئاسة والقيادات الفرعية في سائر الأقاليم ، وأنشئ بيت المال ودار القضاء ، وقسم الجيش إلى ثلاث رايات تشتمل كل راية على قبائل معينة متجانسة مع بعضها البعض من الناحية الإجتماعية ، ومتشابهة من حيث أساليب القتال ومهارات الميدان واستخدام الأسلحة المختلفة، وأدوات القتال كالخيول والجمال والحمير والطبول والمزامير كالأمبابة مثلاً، هذا بالإضافة إلى طابور استعراض الجيش كل يوم جمعة ، وكل ذلك ربما كان بغرض المحافظة على التوازن النفسي لكل جماعة أوقبيلة مقاتلة وبالتالي ضمان المعنويات العالية والأداء الجيد في مسارح العمليات[36].

سقوط بارة والأبيض :

على مشارف الأبيض نجح المهدي في الاتصال بالمواطنين وعلى رأسهم العلماء والتجار وكبار الأعيان وبعض الجند، فخرج الكثيرون منهم في جنح الظلام وإنضموا إلى المهدي ، إلا أن القوات الرئيسة لم تستجيب لنداءاته وقتلت مناديبه وبعد يومين(8 سبتمبر/1882م) إقتحم المهدي المدينة بخمسين ألف مقاتل إلا أنه لم يحقق نجاحاً ومُنيَ بخسائر فادحة مما جعل الخليفة عبدالله يقترح الإنسحاب إلى قدير. إلا أن المهدي أخذ برأي إلياس باشا أم بربر الذي كان مصراً على عدم الإنسحاب وضرب الحصار على المدينة وقد كان وبعد أربعة أشهر يئس الجند واشتد بهم الجوع حتى أكلوا الكلاب والقطط وغيرها فتحطمت معنوياتهم وبدأوا يتسللون إلى معسكر المهدي[37]. وحاول محمد سعيد باشا مدير كردفان إنقاذ الموقف ببث الأمل في نفوس الجنود بالتأكيد على قرب وصول النجدة من الخرطوم ، لكن جاءت الأنباء بما لا تهوى نفسه فقد سقطت بارة في 5 يناير/18883م بعد أن إنضم النور عنقرة إلى جيش المهدي ومعه 2,000 جندي ، وأقنع قادة الحامية بالتسليم ، ولم يصدق جند الأبيض ذلك وإعتبروها شائعة أطلقها جيش المهدي ، فجاءهم ضابط من ضباط حامية بارة وأكد لهم سقوط المدينة ونقل لهم أخبار الثورة في سنار واستحالة ورود إمدادات من الخرطوم فأنهارت معنويات الجند إلى أقصى درجة ، وبالمقابل فقد ارتفعت معنويات الثوار ورأى المهدي أن الوقت قد حان لإقتحام الأبيض إلا أن أحد الأجانب توسط بين الطرفين وأقنع رجال الحامية بالتسليم دون قتال وفي 19/يناير/1883م خرج جميع أفراد الحامية لمقابلة المهدي وسلموا أنفسهم[38].

نلحظ ان الخسائر الفادحة التي مني بها جيش المهدي أثناء محاولة إقتحام مدينة الأبيض لم يكن لها آثار معنوية سالبة بدرجة كبيرة في أوساط قوات المهدي مما يدل على مدى نجاح

عمليات الإعداد المعنوي التي كان ينفذها المهدي بنفسه في ميادين القتال ، كما أن التركيبة القبلية التي بُنَى عليها جيش المهدي كان من شأنها ان تخلق روح التنافس بين الجماعات القبلية المقاتلة والتفاني من أجل تحقيق النصر والإنتقام من الأعداء والثأر لاشقائهم وأبناء عمومتهم الذين حصدتهم نيران قوات الحكومة ، لذا لم تسجل لنا المصادر حالة هروب واحدة من جانب قوات المهدي في كل المعارك التي دارت رحاها بين الطرفين .

كان استرداد الأبيض يعني سيطرة المهدي على كل كردفان وبالتالي عزل دارفور عن الخرطوم ولم يكن أمامه سوى التقدم شرقاً وإحكام السيطرة على المدن النيلية ومن ثم ضرب حصار على الخرطوم ، لكن مع فرحة النصر والمعنويات العالية ظهرت بوادر تطلعات بعض زعماء القبائل الكردفانية الذين شاركوا في المعارك نتج عنها خلاف مع الخليفة عبدالله بسبب تقسيم الغنائم مما أدى إلى تمرد الفكي المنا اسماعيل شيخ قبيلة الجوامعة ، وعجيل ود الجنقاوي من كبار مشايخ الرزيقات. لم يتردد المهدي في قمع ذلك التمرد بالطريقة التي كان يعتقد أنها تحفظ للثورة كيانها ووحدتها في تلك الظروف وتكونت قوات من غير قبائل كردفان تمكنت من القضاء على حركة اسماعيل ومن معه ، وعلقت رؤوسهم في سوق الأبيض .[39]

كان رد الفعل عنيفاً في أوساط جيش المهدي وعامة الناس نتج عنه رأي عام حول الخليفة عبدالله والطعن في تصرفاته سراً وجهراً مما جعل المهدي يصدر منشوراً في 26 يناير/1883 يتحدث فيه عن الخليفة عبدالله ، فضله ومكانته في المهدية، آمراً الناس بطاعته وعدم سبه. [40]لكن الحادثة تعبر عن عدم تأصل الروح القومية في نفوس كثير من زعماء القبائل مما إنعكس على تصرفاتهم ومواقفهم السلبية حيال سياسة الدولة فيما يتعلق بالقضايا العامة والإهتمام بمصالح قبائلهم كتقسيم الغنائم وتولي المناصب العليا والتنافس عليها . ولم يتطور الأمر أكثر من ذلك ربما نظراً لحساسية الموقف العملياتي ومكانة المهدي في نفوس القادة والزعماء ، وفرحة السودانيين باسترداد الأبيض. فقد هاجر كثير من الزعماء إلى المهدي كعثمان دقنة من سواكن وعبد الله ود سعد من المتمة، وبدأ المهدي في تطوير عمله الدعائي على المستويين المحلي والإقليمي فعمت رسائله كل أنحاء السودان مبشراً بالنصر وحاثاً الناس على الإنضمام لأمرائه في الأقاليم أو الهجرة إليه، كما خاطب رابح فضل الله في بلاد الفراتيت وأرسل خطاباً ثانياً للسيد محمد بن علي السنوسي في 12/مايو/1883م آملاً في إنضمامهما إلى المهدية .[41]

حملة هكس باشا ومعركة شيكان :

هكس باشا هو عقيد إنجليزي متقاعد إتفقت معه الحكومة المصرية ليعمل رئيساً لأركان الجيش المصري في السودان في يناير 1883م وكوّن له جيش من فلول جيش عرابي ليفك به حصار الأبيض، لكن هكس باشا رغم دحره لقوات المهدي في معركة المرابيع بجنوب الجزيرة في 29/ أبريل/1883، [42]فقد إرتكز في الدويم ليجعلها قاعدة له للدفاع عن سنار والخرطوم ، مبرراً ذلك بأنه موجود وسط أعداء شرسين ، كالمسيح وسط اليهود، [43]وأن الجنود المصريين غير مدربين ولا يصلحون للقتال ولا يرغبون في البقاء في السودان، كما لا توجد قوات صديقة تتعاون معه أثناء سير

الحملة إلى الأبيض وطالب بأن ينصب قائداً على الجيش وإبعاد سليمان باشا وإمداده بخمسة آلاف جندي إلى غير ذلك . [44]

لكن ما إن تم ترقيته وتنصيبه قائداً أعلى للجيش حتى نسي كل شئ وإرتفعت معنوياته وصار يمتدح جنده المصريين وشرع في التقدم نحو كردفان في شكل مربع أو صندوق ضخم في 24/ سبتمبر/1883م [45]فهو إذا لا تحركه دوافع معنوية راسخة ولا يقاتل إلا في إطار الإلتزام المهني في مواجهة قيادة وطنية ثائرة لها أهداف إستراتيجية وجيش وطني يتمتع بروح معنوية عالية تفوق تصور هكس باشا .

لم يواجه المهدي صعوبة في التخطيط للقضاء على الحملة فهو يمتلك الأرض وجيشاً وطنياً من المجاهدين وعناصر محلية وطنية ، وقد أفاد المهدي كثيراً من تجاربه السابقة ووضع خطة ذكية ترمي إلى التأثير المعنوي على الحملة وقيادتها أثناء سيرها باستخدام قوة محدودة للقيام بعمليات خاصة في إطار حرب نفسية تكتيكية تتلخص في :

1. متابعة سير الحملة وتعقبها ومناوشتها دون الإلتحام المباشر بجندها .
2. عزل المربع من العناصر المحلية .
3. منع الإبل والدواب من المراعي وطمر الآبار وعدم إرشاد الحملة لأماكن المياه .
4. ربما خطط المهدي لوضع جيش هكس في أرض القتل بواسطة دلاء الحملة التابعين للمهدي أصلاً .[46]

وقد تم بالفعل إنفاذ تلك الخطة فمات الكثير من دواب الحملة بسبب الجوع والعطش وأخلى السكان كل القرى من الدويم حتى الأبيض وتركوها خاوية على عروشها ، مع طمر الآبار ، كما نفذ الدلاء الخطة ووضعوا الحملة في أرض القتل. أما قوات الحملة فقددبَّ اليأس في أوساط الضباط والجنود وإنهارت المعنويات بدرجة شجعت أحد أمراء المهدية ليقترح على المهدي إقتحام المربع[47]. وقد حاولت قيادة الحملة خلق توازن نفسي للقوات بإطلاق شائعة أمل في أوساطهم ، أن هنالك قوات قادمة من مصر قوامها آلاف المقاتلين من طائفة الطريقة السنوسية بدعم من السلطان العثماني عبدالحميد وستلحق بالمربع في شركيلة ، ولم يحدث ذلك ، [48]فكان ضرر تلك الشائعة أكثر من نفعها إذ أصيب الجند بالإحباط وبدأ بعضهم في محاولات هروب إلى معسكر المهدي وبالفعل فقد هرب ضابط صف صحفي وإنضم لمعسكر المهدي وأفشى كل أسرار الحملة[49].

استبشر المهدي خيراً ورأى أن يخاطب الجنرال هكس باشا ويدعوه للتسليم فكتب له خطاباً بليغاً كعادته تجلت فيه قوة شخصيته كزعيم وطني واستنسخ منه 1500 نسخة لتوزع على طول خط سير الحملة ، فاستشاط هكس غضباً ورد على المهدي يهدده ويتوعده ويفخر بنفسه ، ويبدوا أنه قصد بذلك رفع معنويات الجند أما المهدي فربما أخذ ذلك الرد دليلاً على خوفه وإنهيار معنوياته بخاصة وأن جيش المهدي كان يتمتع بمعنويات عالية ، قال أوهرولدر – وهو شاهد عيان عند خروج جيش المهدي من الأبيض :

((...ساد الصمت معسكر الأبيض ونحن نتوقع حدوث الكارثة في أية لحظة ، وأملنا في النصر معقود على القادة الأوربيين والبنادق الجيدة والمدفعيات ، فقد قيل أن المهدي وُعد بمساعدة أربعين ألف ملك من ملائكة الجنة....))[50].

هـذا إضافـة إلى إنتشـار شـائعة في أوسـاط جنـود الحملـة مفادهـا أن المهـدي سيشـعل النـيران في غابـة شـيكان ليمـوت الجنـود إختناقاً[51]. ويبـدو أن هكـس باشـا لم يكـن واثقـاً مـن تحقيـق النـصر فحـاول تدبـير مؤامـرة لأغتيـال المهـدي ودفـع لأحـد الأشـخاص مبلـغ عـشر آلاف ريـال إلا أن ذلـك الشـخص ذهـب ولم يفعـل شـيئاً[52].

وقبـل المعركـة بثلاثـة أيـام كان جيـش هكـس يعـاني مـن الجـوع والعطـش ومـات مـن رجالـه المئـات ول يكـن ذلـك الجيـش يمتلـك القـدرة عـلى الحركـة والقتـال ، ورأى المهـدي أن الوقـت قـد حـان للقضـاء عـلى تلـك الحملـة[53]. وفي 3 نوفمـبر بـدأ اقتحـام المربـع وإنتهـت العمليـة في وقـت وجيـز ولم ينـج مـن أفـراد الحملـة إلا القليـل .

وصف أحد ضباط الحملة اليوم الرابع من نوفمبر بأنه :

«...كان يومـاً سـيئاً فمعنوياتنـا هابطـة ونحنداخـل غابة...إنصبـت علينـا النـيران مـن كل الإتجاهـات وبـدأ الرجـال والجـمال والبغـال يتسـاقطون بسرعـة الواحـد تلـو الآخـر ، لقـد أصـاب منـا الإرهـاق والتعـب مـدى بعيـداً وأصبحنـا لا نـدرى مـا نفعلـه[54].

ووصلـت حالـة الزعـر والفـوضى إلى أن الضابـط لا يسـتطيع التعـرف عـلى جنـده ولا الرجـل يعـرف صاحبـه[55]. أمـا حكومـة الخرطـوم فقـد أصيبـت بخيبـة أمـل وأيقنـت أن نفوذهـا في السـودان إنتهـى تمامـاً. فالسـودانيون الذيـن كانـوا مترددين في الإنضـمام للمهـدي توافـدوا عليـه بعـد شـيكان في الأبيـض وإنتـشرت أخبـار انتصـار المهـدي في أوسـاط العـالم العـربي والإسـلامي وجـاءت الوفـود مـن الحجـاز وتونـس ومراكـش والهنـد للتعـرف عـلى دعوتـه[56].

وبعـد سـت سـنوات مـن وفـاة المهـدي وصـف أوهرولـدر مكانـة المهـدي في أوسـاط السـودانيين بعـد معركـة شـيكان قائـلاً :

(...لقـد اسـتلفت إنتبـاه النـاس واعتقـد أغلـب السـودانيين أنـه المهـدي حقيقـة ، وظـن البعـض أنـه سـاحر عظيـم وحتـى الآن وبعـد سـت سـنوات منـذ وفاتـه مـا زال نجاحـه المذهـل يعـزى إلى السـحر وحتـى أهلـه الدناقلـة مسـلمين بأنـه ليـس المهـدي إلا أنهـم يقولـون أنـه كان رجـلاً واهبـاً نفسـه للديـن وأن اللـه سـبحانه وتعـالى وهبـه قـدرة وحكمـة خارقـة للعـادة .[57]

ومهما يكن من شئ فقد استغل المهدي هذا النجاح المادي والمعنوي فقرر :

1. بـث الرسـل والرسـائل والسرايـا إلى بحـر الغـزال ودارفـور وبربـر دنقـلا وشرق السـودان لإخضـاع الحاميـات المصريـة .
2. مخاطبة مشايخ جزيرة سنار وغيرها حاثاً إياهم على التقدم والبدء في محاصرة الخرطوم .
3. الاستعداد للتقدم شرقاً والبدء في عمليات إنهاء الحكم التركي- المصري في البلاد .

ردود الفعل في الخرطوم :

أكـد العقيـد سـتيوارت في تقاريـره أن الجيـش يعيـش ظروفـاً صعبـة وقـد بـدأ اليـأس يـدب في أوسـاط الجنـد، كـما ذكـر أن الضبـاط والجنـود المصريـين يعانـون مـن الجهـل وعـدم التأهيـل، وفي أذهـان الكثيريـن منهـم أوهـام وخرافـات عـن قـوة المهـدي ، وأضـاف سـتيوارت أن الشـعب السـوداني يكـره

الحكومة ومنحاز إلى المهدي وإذا حاولت الحكومة قمع الثورة فإن ذلك قد يكلفها كل ما تملك من مال ورجال .[58] والأهم من ذلك تأكيد كرومر على أن مصر لن تقوى على إنهاء تلك الثورة لأن المهدي والثوار يعتمدون في ثورتهم على الدين الإسلامي وكراهية السودانيين للأتراك.[59] وعلى مستوى القيادة العليا في بريطانيا فإن هزيمة هكس جعلت بريطانيا تعلن صراحة عدم الاحتفاظ بالسودان وضرورة إخلاء الحاميات المصرية مع الإبقاء على الجيش الإنجليزي في القاهرة نظراً لما تدعيه من خطر مهدوي على مصر ، ورفضت رأي مصر القائل بضرورة الإخلاء المرحلي والاحتفاظ بالخرطوم.[60]

فبريطانيا لا تريد وضع الحبل على الغارب لمصر كي تسيطر على السودان بعد إنتهاء دولة المهدية، في ظل المهددات الفرنسية في القرن الإفريقي ومنابع النيل لذا فقد رفضت إرسال عبدالقادر باشا حلمي رغم شجاعته ومهاراته في القتال وتأهيله وخبرته الإدارية في السودان ، مما جعل العقيد ستيوارت يشيد به. وحين عرض عليه الذهاب إلى السودان اشترط عدم إعلان عمليات الإخلاء وضرورة أن تصحيه قوة عسكرية[61].

اقترحت بريطانيا إرسال الجنرال غردون ، ووافق اللورد كرومر على ذلك رغم عدم معرفته اللصيقة بغردون ، وكان متشككاً في كفائته وإقتناعه بأنه رجل متقلب الأطوار ، وقال كرومر فيما بعد أنه ندم على تلك الموافقة ، وفي 25/يناير/1884م صدرت الأوامر لغردون من الحكومة المصرية بإخلاء الحاميات المصرية والمواطنين المصريين والأجانب من السودان في فترة ثلاثة أشهر وليتمكن من أداء مهامه عين حكمداراً على السودان[62].

حاول غردون اتباع استراتيجية إعلامية تهدف إلى شق الصف السوداني وإضعاف ثورة المهدي وإعادة الأمن والنظام في السودان في ظل نفوذ بريطاني وذلك عن طريق الأخبار الكاذبة والأغاليط والتصريحات عن طريق الخطابات والإعلانات واللقاءات مع بعض الزعماء ومن ذلك :

1. الاستفادة من أحفاد السلاطين السودانيين الذين كانوا حكاماً قبل الغزو التركي المصري للسودان في 1822م وتوظيف الزبير باشا مديراً لإدارة المدن كالخرطوم وكسلا ودنقلا وغيرها[63]. وقصده من ذلك ضرب السودانيين ببعضهم البعض وبالتالي إضعاف الثورة .
2. وفي طريقه للخرطوم أبرق الحسين خليفة العبادي في بربر بأنه سيعزل كل الموظفين الأتراك والمصريين ويستبدلهم بعناصر سودانية كما سيعفي كل الناس من متأخرات الضرائب مع إعفائهم من الضرائب لمدة عامين وتخفيض الضرائب بنسبة 50% ، وإلغاء الأوامر الخاصة بمنع التعامل بالرقيق الموجود في أيدي الناس .
3. أرسل خطاباً إلى المهدي بواسطة الحسين خليفة العبادي ومعه كسوة شرف ، وأفاده في الخطاب بأنه عينه سلطاناً على كردفان .[64]
4. وفي بربر أعلن على بعض زعماء القبائل والشيوخ أنه جاء لإخلاء القوات المصرية وترك السودان لأهله .

لكنه فشل في مسعاه وذلك لعدة أسباب منها :

1. لم يوفق في تقدير الموقف ، وتعامل مع السودان والسودانيين على خلفيات قديمة قبل أن يصل إلى الخرطوم .
2. إعلان الإخلاء كان بمثابة ضوء أخضر للعناصر المحايدة والمترددة للإنضمام إلى المهدي وثورته كما أدى إلى اشتعال الثورة في مناطق النيل الأبيض والأزرق[65].وتكبيد قوات الحكومة خسائر فادحة في شرق السودان وسقطت كثير من المدن في أيدي الثوار الذي ضربوا الحصار على كثير من المدن كسنكات وطوكر وغيرها ، وربما كان غردون يتوقع حدوث إنشقاق في صفوف الثوار وصراع على السلطة إلا أن ذلك لم يحدث ، كما أن إعلان الإخلاء أكد للسودانيين الذين لم ينضموا للمهدي إن المهدي أقوى من الحكومة ومن عادة الناس دائماً الإنضمام للأقوى طوعاً أو كرهاً فإنضموا إلى الثوار ، كما ان القرار رفع معنويات الثوار وإنعكس ذلك على أدائهم بمسارح العمليات .
3. في 27/فبراير/1884 حاول إقناع السودانيين بعدم الإنضمام للمهدي ونظراً لعدم جدوى ذلك فقد أطلق شائعة مفادها أن القوات البريطانية في طريقها للخرطوم ، في حين أن تلك القوات لم تتحرك بعد وإنما قصد بهذا الخبر الكاذب شق الصف السوداني والتأثير المعنوي على الثوار. لذا فحتي بعد تحرك الحملة في أكتوبر لم يصدق الناس أنها تحركت فعلاً(66).وكل العمل الدعائي الذي قصد به غردون شق الصف السوداني كان في صالح المهدي والثوار .
4. كان موقفه حرجاً مما جعله يدخل في مساومة مع المهدي بتعيينه سلطاناً على كردفان ، وهذا ربما أقنع المهدي بمدى ضعف قوات الحكومة وبداية نهايتها ، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع معنويات الثوار وإصرار المهدي على مواصلة القتال ضد جيش الحكومة .
5. فشل غردون أيضاً في التعامل مع رسائل المهدي وكبار القادة الميدانيين وكثيراً ما كان يلجأ إلى الأغاليط كالشتم والسباب والتهديد، مع أن المهدي لم يلجأ لمثل هذا الأسلوب قط بل كان يطلق على غردون «عزيز بريطانيا والخديوية» .[67]

في سبتمبر/1884م وضح أن غردون لم يكن يرغب في إخلاء السودان بل كان هدفه القضاء على المهدي وثورته ربما لتلبية رغبته الشخصية أو رغبة إنجلترا وقد إتضح ذلك من تصريحات اللورد ولسلى وسياسة بريطانية المعلنة بعد مقتل غردون[68].

ويبدو أن غردون اقتنع بفشله في مهمته فصار يلقى اللائمة على كرومر وغلادستون وغيرهما من أعضاء الحكومة البريطانية الذين تسببوا في عدم تجهيز الحملة في الوقت المناسب حسب رأيه وهذا من اسقاطات غردون ، يخطئ وينسب الأخطاء لغيره ، ونجده يتحسر على فوات الاوان قائلاً :

«...لو أرسل الزبير إلى السودان لكنا هزمنا المهدي دون أية مساعدة خارجية ، وشئ محزن أن يكون المهدي محتضراً ونخلي له الخرطوم فينهض مرة أخرى...»[69].

وهـذه أغلوطـة أيضـاً لأن الخرطـوم هـي التـي كانـت تحتـضر، وكان غـردون مـصراً عـلى عـدم التسـليم عـلى أمـل وصـول حملـة إنقـاذه وإنتظارهـا يومـاً بعـد يـوم حتـى صـار في نهايـة الأمـر يتمنـى أن يصـل إليـه مائـة جنـدي...أو خمسـين جنديـاً... أو جنديـاً واحـداً مـن أفـراد الحملـة كبـادرة أمـل لوصولهـا .[70]

بعـد أن أحكـم المهدويـون حصارهـم عـلى الخرطـوم وأمدرمـان ظهـر لغـردون مـدى عـدم رغبـة الجنـود السـودانيين وبعـض المصريـين في قتـال الثـوار ، وقـد أعـدم إثنـين مـن كبـار قادتـه لمنعهـم الجنـود مـن ضرب الثـوار كـما صُـدم غـردون بمقتـل واحـد مـن أميـز قادتـه عـلى أيـدي الثـوار في أم ضبـان وإزداد حزنـه حـين نقـل إليـه المهـدي نبـأ مقتـل العقيـد سـتيوارت وأفـراد بعثتـه في منطقـة المناصـير (18سـبتمبر/1884) فكانـت ضربـة قاضيـة حطمـت معنوياتـه.[71]

وفي الخرطـوم وأمدرمـان سـاءت أحـوال المواطنـين ومـات بعضهـم وتـسرب لديهـم نبـأ سـقوط بربـر وبـدأ التجـار في إخفـاء الغـلال في منازلهـم وإنهـارت المعنويـات فحـاول غـردون القيـام بعمـل إعلامـي دعـائي عليـه يحَّـول اتجـاه الـرأي العـام في الخرطـوم ويخلـق توازنـاً نفسـياً للجنـد والمواطنـين فقـام بـالآتي :

1. أعلـن عـن تحـرك حمـلات مـن مـصر وإنجلـترا عـن طريـق سـواكن ، وأن السـيد محمـد عثـمان الميرغنـي يقـود إحـدى تلـك الحمـلات ، وهـي حمـلات وهميـة وأخبـار كاذبـة .
2. اسـتمر العلـماء في الخرطـوم في عملهـم الدعـائي ضـد المهـدي بالتركيـز عـلى أنـه ليـس المهـدي المنتظـر [72]متجاهلـين أنهـا ثـورة زعيـم وطنيضـد قـوى أجنبيـة ، مـع أن غـردون صَّرح بأنهـا ثـورة ضـد النظـام الـتركي الشركـسي .
3. أصـدر منشـوراً للجنـد وسـكان الخرطـوم والموظفـين يذكرهـم بمـا قدمـه لهـم مـن حوافـز ماليـة وأنـه سـيمنحهم مرتـب شـهر عـن كل يـوم تتأخـر فيـه الحملـة ، وأن جلالـة الملكـة ضامنـة لقولـه هـذا .
4. في نهايـة ديسـمبر 1884م اشـتد الجـوع في الخرطـوم وأمدرمـان مـما جعـل عـردون يسـمح للقـادة بالخـروج وجلـب الأقـوات بالقـوة مـن خـارج الخرطـوم فقـد صـار النـاس يأكلـون لحـوم الحمـير والخيـول والبغـال .
5. أضطـرب أهـل الخرطـوم وزادت مخاوفهـم حـين وردت إليهـم الأنبـاء بوصـول المهـدي فأصدر غـردون منشـوراً بقـرب وصـول جيـش النجـدة وطلـب مـن النـاس التحلي بالصـبر[73].
6. أصـدر حكـماً بالأعـدام عـلى أحمـد العـوام الـذي كان يقـف إلى جانـب الثـورة المهديـة وجاهـر بتكذيـب إدعـاءات غـردون فيـما يتعلـق بوصـول النجـدة ، ويقـال أنـه حـرض إحـدى النسـاء عـلى إشـعال النـار في مخـزن الزخـيرة .
7. كان لا يتردد في ترقية أي ضابط يقوم بأعمال عدائية ناجحة ضد الثوار[74].

ومـما تقـدم نلحـظ أن غـردون ومستشـاريه لا يعتمـدون في حربهـم النفسـية عـلى مرتكـزات أصيلـة بـل يلجـأون إلى الأغاليـط والأخبـار الكاذبـة مـما أفقدهـم المصداقيـة أمـام أهـل الخرطـوم بخاصـة حـين

استسلمت أمدرمان في 5يناير/1885 بسبب الجوع فبدأوا في الخروج من الخرطوم والتسليم لقوات المهدي ، فأصدر المهدي منشوراً في 6/يناير ينص على حسن معاملة الذين يسلمون أنفسهم رغم استشهاد واحد من أميز قادة المهدية في 3/يناير الأمير عبدالله ودالنور ، ومما جاء في ذلك المنشور :

«...وبعد فإذا فهمتهم هذا أحبابي فآلفوا عباداللـه الذين يخرجون مسلمين ومنقادين بأنواع التأليف ، وتلقوهم بالإكرام والتشريف ، ولا تنظروا لمن استشهد من الأنصار فتحنقوا بسبب ذلك على من كان مع الكفار فإن قيامنا هذا لله... ومن استشهد من الأنصار فقد نال عظيم المقدار فيما فعله لوجه الله...فأكرموا الذين يأتون مسلمين وخصوصاً العلماء ومن كانوا أهل وظائف كبار وبالأخص نحو الأمين الضرير فقد قال صلى الله عليه وسلم :

«أكرموا عزيز قوم ذل غني وافتقر...والسلام»[75].

معركة أبو طليح الحاسمة (17/يناير1885م) :

كانت معركة حامية الوطيس ضد طابور الصحراء الذي هو جزء من حملة إنقاذ الجنرال غردون والعقيد ستيوارت. لقد تم تكوين هذه الحملة من خيرة الضباط الإنجليز الذين يتمتعون بالرتب القيادية العالية والخبرة الطويلة في القتال وإدارة المعارك ، إضافة إلى إكتمال القوات من كل الجوانب المادية، وقد حظيت بدعم معنوي لا يقل عن الدعم المادي ، فقائد الحملة كان اللورد وسلي (lord Wolsely)نائب القائد العام للجيش البريطاني ونائبه الجنرال بُلر General Buller)الذي يعد من أفضل الضباط الإنجليز أما قائد طابور الصحراء فهو العميد السير هيربرت ستيوارت (sir Herbert stewart) .

كان عدد ضباط طابور الصحراء 114 ضابطاً ، وعدد ضباط الصف 1678 تم إختيارهم بشكل دقيق، أما قوات الثوار فبلغ عددهم ما بين 8 إلى 10 آلاف مجاهد إضافة إلى بعض القادة والجنود الباشبوزق الذين إنضموا إلى جيش المهدي بأسلحتهم [76]، وفي ذات الوقت تم استنفار الجعليين شيباً وشباباً [77]وقد كلفت تلك القوة بالتصدي لطابور الصحراء في أبو طليح وعدم تمكينه من التقدم من المتمة جنوباً إلى الخرطوم .

لا توجد مقارنة بين قوات الحملة الإنجليزية وقوات الثوار من حيث التسليح فلدى جيش المهدي بالمتمة بضع مئات من البنادق الرامنتجون وبعض المدافع التي غنمت من جيش الحكومة في المعارك السابقة وكثير من السيوف والرماح والفؤوس والبلط والعصى الطويلة ، ولا توجد مقارنة أيضاً من ناحية الإعاشة والخدمات الطبية إلا أن الثوار كانوا يتمتعون بدرجة عالية من المعنويات ، وثبت من المعارك التي دارت رحاها في وادي أبو طليح والمتمة والقبة أن السياسة التي اتبعها المهدي في العمل المعنوي منذ فترة سابقة لإعلان الثورة كان لها كبير الأثر في الأداء الرائع للجيش والمليشيات ، وقد شهد بذلك الأعداء ، كما استطاع قادة الثوار إدارة المعارك بشكل جيد بعد أن تم تفصيل واجبات كل قوة .

بالإضافة إلى قيادة الفرسان ، فقد كان على الحاج علي ود سعد – يحكم أنه ابن المنطقة – إدارة الجوانب الأمنية والاستخباراتية والاستطلاع فأرسل الفارس بشير ود سوبك الجعلي برسالة

من المهدي إلى قائد طابور الصحراء في بلاد الشايقية يطلب منه عدم التقدم جنوباً فرفض قائد الطابور ذلك وعاد ود سوبك إلى المتمة وقدم تنويراً عن قوات الإنجليز .[78] والأخطر من ذلك أن الحاج علي ود سعد جهز فارساً من فرسان الحسانية يدعى أبو لولة ليقوم بعملية تجسس على طابور الصحراء ونجح في مهمته منذ البداية في جقدول حتى إنتهاء المعارك وعاد مع الإنجليز إلى جقدول ولم يمت كما ذكر سلاطين ، فقد ظنه الإنجليز أنه أحد لصوص جبال الحسانية وإتفقوا معه ليعمل كدليل للطابور نظير أجر معلوم ، فكان يرسل الإشارات الضوئية والدخان لعناصر الاستطلاع مما جعل قوات المتمة تتابع سير الحملة[79].

كما كون الحاج علي قوة من أبناء المنطقة للقيام بعمليات الاستطلاع والتجسس منذ وصول الطابور أبار جقدول[80].وبعد حوالي 10 أميال من آبار جقدول إتضح لقادة الطابور أن قوات المهدي تتابع تحركاتهم فبدأ القلق يدب في أوساطهم. همس العقيد برنبي(Burnaby) في إذن أحد الصحفيين المرافقين أنه :

«...لو حدثت لنا أية كارثة ما منا أحد سيرى لندن... إن فرصتنا في إجتياز هذه العقبة بسلام 5 % أو 1 % ...»

قال ذلك وهو في حالة من القلق والإضطراب ولم يكن يمازح [81]، وفي صباح يوم 16/يناير شاهد الإنجليز الثوار وهم يقيمون عرضاً عسكرياً بالرماح على بعد 1500 أو 2000 ياردة من الطابور ، ربما لإظهار القوة والمعنويات العالية وفي المساء بدأ قناصة الأنصار في الضرب على أفراد الطابور بإستمرار مع قرع النحاسات، مما جعل الإنجليز يوقفون تقدمهم ويمنعون اشعال النار تحسباً لهجوم مهدوي مرتقب. لم يحدث الهجوم إلا أن الثوار استمروا في قرع الطبول مما أحدث قلقاً في أوساط أفراد الطابور حتى شروق الشمس ، قال شارلس ولسون نائب قائد الطابور في صباح يوم 17/ يناير :

«...لم أعرف صوتاً غريباً مضللاً مثل أصوات هذه الطبول ، ومن الصعب جداً تحديد مركز تلك الطبول بخاصة عندما تهب رياح...»[82].

ظهر الثوار بشكل مفاجئ وحاولوا إقتحام المربع وتعرضوا لنيران كثيفة فتحولوا من الجانب الأيسر إلى الجانب الأيمن من المربع بشكل سريع وبطريقة أذهلت الضباط الإنجليز ، وأحدثوا حالة من الرعب ، الإرتباك في صفوف الأعداء مما أدى إلى موت بعض الضباط الإنجليز بنيران جنودهم ، بل كاد الثوار أن يفتكوا بقائد الطابور الذي كان على بعد أمتار منهم ونجا بأعجوبة [83]وقد أعاقت الجمال الميتة حركة الثوار الذين أظهروا شجاعة فائقة وإقداماً وخفة حركة كما تجلت براعة الأمراء في فن التحرك في الميدان ومشاركتهم في عملية الإقتحام ، فقد شاهد العقيد شارلس ولسون الأمير موسى ود حلو وهو يقتحم المربع ووصف ذلك قائلاً :

«...لقد رأيت رجلاً مسناً ماهراً على ظهر جواده يغرس رايته في قلب المربع وسرعان ما أصيب وسقط دون رايته وإنقلب على ظهره فأتضح لنا أنه موسى أمير عرب دغيم من كردفان ، لقد لاحظته أثناء إقتحام المربع يحمل الراية بيد وكتاب الصلوات (الراتب) باليد الأخرى ، ولم

أرى شيئاً أروع من ذلك. هذا الرجل المسن لم ينحرف جهة اليمين أو اليسار ، ولم يتوقف عن قراءة الصلوات إلا بعد أن غرس رايته في مربعنا ، فإذا كان هنالك شخص عمل عملاً يدخله الجنة فهو هذا الرجل...»[84]. واصل الثوار تقدمهم للمشاركة في عملية الاقتحام وحماية الثوار الذين يقاتلون داخل المربع ولاحظ الإنجليز معنوياتهم العالية وخفة حركتهم واستمرار التكبير المدوي الذي أثر في نفوس أعدائهم الا أنهم تعرضوا لنيران كثيفةأدت إلى حدوث ثغرات في صفوفهم المتراصة .[85] ورغم ذلك فقد شوهدوا وهم يشتبكون مع جنود المربع بالأيدي يقطعون الأطراف ويحطمون الرؤوس بالفؤوس ويعقرون وهم في حالة هياج يهللون ويكبرون.[86] وقد رأى شهود العيان من الإنجليز كيف أن جرحى الثوار كانوا يقاومون ويرفضون تسليم أسلحتهم بل أطلق بعضهم النار حتي على رجال الاسعاف . وعلى الرغم من أن عدد قتلى الثوار كان كبيراً (ما بين 800-1150) إلا أن ضباط الطابور أصيبوا بالحزن والرعب والذهول حين تأكد لهم أن عدد قتلاهم بلغ 68 وجرحاهم 106 بما فيهم نائب قائد الطابور وثمانية ضباط أخرين , ووصف ذلك أحد شهود العيان الإنجليز بأنها مجزرة[87]فهي كارثة بالنسبة للإنجليز، لأنهم ما جاءوا ليموتوا ، ومن جانب آخر فإن خسائر الثوار لا تعني شيئاً مخيفاً بالنظر إلى الواجب المكلفون به ، ومن هنا بدأت بشائر نصرهم ، لأن النصر في هذه الحالة لا يقاس بعدد القتلى بل بمدى نجاحهم في تنفيذ واجبهم الا وهو منع طابور الصحراء من التقدم نحو الخرطوم .

لقد هبطت معنويات ضباط وجنود الحملة وصاروا في حالة من الزعر والخوف وما كان قائد الطابور يرغب في معركة جديدة وتقديم مزيد من القتلى والمذابح فحاول تفادي المتمة ولكن في 19/يناير/1885 وهم على بعد 4 أميال من المتمة شاهدت قوات الاستطلاع الثوار وسمعوا قرع الطبول والتكبير والتهليل فتحدد خوفهم. فقد وصلت سرية النور عنقرة التي قوامها 1000 مقاتل مسلحين بالأسلحة النارية ، وتقدمت على الفور لمواجهة طابور الصحراء خارج مدينة المتمة تدعمها قوات من المتمة حيث بلغ عدد كل القوات حوالي 9 أو 10 ألف مقاتل [88] .

قال الكونت قليخن:

«...كنا نتمنى أن نصل النيل دون أن يرانا أحد لنرتوي بالماء ونرتاح قليلاً قبل أن يهاجمنا العدو لكن خابت آمالنا...»[89].

بدأت الاشتباكات بمحاولة الثوار قتل أكبر عدد من الجمال وأصيب قائد الطابور العميد استيوارت إصابة خطيرة في أعلى الفخذ وأسفل السلسلة الفقرية في العاشرة صباحاً وتولى القيادة السير شارلس ولسون كما قتل وجرح بعض الصحفيين ، اضافة إلى جرح 8 ضباط و90 جندياً وأعداد كبيرة من الجمال وصار القادة والأفراد في حيرة من أمرهم فهم يعانون الجوع والعطش ويواجهون خطر النيران الكثيفة. لا يستطيعون التقهقر لأن فيه نهايتهم ، ولن يستطيعوا الحصول على الماء الا بعد معارك ضارية غير مضمونة النتائج قال أحد الصحفيين المرافقين لطابورالصحراء أنهم إذا دخلوافي معارك جديدة لن تكون من أجل تحقيق نصر بل من أجل البقاء على قيد الحياة .

إلا أن السير شارلس ولسون كام مصراً على التقدم نحو المتمة لاعتبارات سياسية وحاول ذلك فصدته نيران المتمة فأنهزم إلى القبة جنوب المتمة وكان لذلك آثار سياسية ومعنوية مدمرة

باعتراف ولسون نفسه .[90] وفي صباح ذات اليوم (21 يناير) وصلت البواخر التي أرسلها غردون من الخرطوم وقصفت المتمة بالمدافع ، وكان الجند القادمون من الخرطوم يتدفقون حماساً إلا أن ولسون أخبرهم بأنه لا ينوي مهاجمة المتمة أما القائد الجريح فقد قال حين سمع بوصول الوابورات:

«...الحمد لله لقد انتهت مهمتي...» [91]

كل ذلك يعبر عن الهزيمة النفسية النكراء وحالة الإحباط التي شملت كل أفراد الحملة الذين صاروا ينامون خارج الزريبة في القبة خوفاً من نيران الثوار في المتمة ومن جانب آخر نلحظ الأداء الجيد للثوارفي كل المعارك والإصرار على تحقيق الهدف المنشود ألا وهو تعطيل سير طابور الصحراء ، ونلاحظ إنضباط الثوار وإهتمامهم بالزي العسكري الكامل في أبو طليح والمتمة ، وقد لاحظ ذلك شهود العيان من رجال طابور الصحراء وذكروه بتفصيل .

لقد تسلم اللورد ولسون رسالة من الجنرال غردون مفادها «أن الخرطوم تمام ويمكنها الصمود لمدة عام» فاقتنع قادة الطابور بأن الرسالة ليست لهم وإنما هي خدعة مصممة للأعداء لكن هذا التصريح لم يؤثر في موقف الثوار بل كان له آثار سالبة على طابور الصحراء لأنهم في آخر ديسمبر علموا أن لدى غردون مؤن لا تكفيه لأكثر من أربعين يوماً [92]فهذا التصريح لا يخرج عن طريقة غردون في استخدام الأغاليط في عمله الدعائي ليبرر موقفه المتعنت .

مهما يكن من أمر فقد تسربت أخبار عن معركة أبو طليح بواسطة بعض الثوار الذين حضروا من المتمة بعد مشاركتهم في تلك المعركة وحاول الفريقان في أم درمان والخرطوم استثمار تلك الأخبار على ما فيها من عدم دقة وجهل بما يحدث فعلاً لطابور الصحراء من كارثة فأطلق المهدي 101 دانة مدفعية أبتهاجاً بالنصر وفي ذات الوقت ابتهج غردون بالنصر في أبو طليح ، فعمل المهدي على تحويل إتجاه الرأي العام في الخرطوم لصالح الثورة فأرسل الرسل إلى الخرطوم ليعلنوا على الناس أن الثوار هم الذين انتصروا ولأن الناس لم يعودوا يعرفون غردون فقد إقتنع الكثيرون بهزيمة طابور الصحراء ، وحتى فرج الله قائد ام درمان بدأ يتشككفي انتصار الطابور وحاول اقناع غردون بالتسليم لكن غردون رفض ذلك قائلاً أمام مجلسه :

«...لماذا نهدي النصر للمهدي طالما مقاومة يوم واحد ستجعله مهزوماً؟

ثم إلتفت إلى بوردين بك صديقه من تجار الخرطوم قائلاً :

«...ماذا أقول أكثر من ذلك ؟ لم يعد الناس يصدقونني فقد طلبت منهم مرات ومرات أن النجدة آتية إلا أنها لم تأت ، والآن يعتقدون أنني أكذب عليهم...»[93]. وحين رأى غردون ما وصل إليه حال المواطنين بدأ بالسماح لبعضهم بمغادرة الخرطوم ، وحين وردت أنباء سقوط طابية العيلفون إزداد حزن الناس وصاروا يبكون من سوء حالهم ورأى غردون ذلك الحزن والبكاء فأجهش هو أيضاً بالبكاء ، وحاول التخفيف عليهم ورفع معنوياتهم لكن بدأت حالة اليأس واضحة على وجهه وصار يتحدث بنغمة غير معهودة وغيب نفسه عن أحد الإجتماعات كيلا يؤلم المجتمعين وفي 19 يناير خرج السنجك عمر ابراهيم ومعه رائد باشبوزق بقواتهم ونقلا إلى جيش المهدي أحوال الخرطوم البائسة[94].

أما المهدي فلم تصله تقارير رسمية من قادة أبوطليح ويبدو أن الذين وصلوا أمدرمان لم يتأكدوا من حقيقة الموقف وهالهم عدد الشهداء في المعركة فاعتقدوا أنهم هزموا في تلك المعركة وقد إضطرب المهدي وبعض قادته ومستشاروه ، وصار البعض يضرب على نغمة إنهاء الحصار والإنسحاب إلى كردفان ، لكن في الاجتماع وأمام مجلس الخلفاء وقف محمد ودنوباوي من بني جرار وأقترح إقتحام الخرطوم بعد أن ضرب لهم الأمثال ، ووافق الجميع على ذلك[95].

لم يكن المهدي حريصاً على إراقة دماء ، وحاول إقناع غردون بالتسليم قائلاً في آخر خطاب لغردون :

«...إذا رغبت في الإنضمام إلنا فيكون ذلك مبارك لك وإذا رغبت في العودة إلى بلدك فنحن سنعيدكم دون مقابل...»[96].

أمر المهدي القادة والأمراء بتنفيذ عملية الاقتحام في تمام الساعة الثالثة والنصف من صباح يوم الأحد 26/يناير/1885م لم يجدوا مقاومة تذكر نظراً للجوع والمرض وهبوط المعنويات فلم يستغرق الاستيلاء على المدينة أكثر من نصف ساعة ، وكان المهدي قد أوصى بعدم التعرض لغردون وتركه على قيد الحياة [97]إلا أن المجاهدين بقيادة محمد ود نوباوي نسو ذلك فقتل وأرسل رأسه إلى المهدي الذي لم يصدق أن الثوار نسوا توجيهاته .

أما جيش الصحراء فبدأت قيادته التحرك بإتجاه الخرطوم في 24/يناير وفي يوم 1/27 سمع اللورد ولسون أحد المواطنين ينادي ويهتف قائلاً أن الخرطوم سقطت وأن الجنرال غردون قتل ، وفي يوم 28/ سمع ذات الأخبار والنداءات في الحلفاية فرجع إلى القبة بعد أن تعرض لقصف مدفعي من طابية أم درمان قبالة توتي [98]وكان المهدي قد أرسل عبدالرحمن النجومي على رأس سرية إلى المنتمة في 8/فبراير لطرد الإنجليز من القبة لكن لم يكن يعرف ما آل إليه حال جيش الصحراء ولم تصله تقارير مفصلة عن سير العمليات فَقد فقد جيش الصحراء كل قدراته المادية والمعنوية ولم يعد قادراً على فعل شئ. قتل نائب القائد وجرح القائد جرحاً مميتاً أخرجه من المعركة وقتل كثير من الضباط والجند ومئات الجمال وهي أهم وسيلة للنقل وتم تحرير الخرطوم وقتل غردون ، وكان لكل ذلك آثاره المعنوية المدمرة للإنجليز سواء كان ذلك على المستوى المحلي في حملة الإنقاذ أو على المستوى الحكومي البريطاني من الناحية السياسية والعسكرية والاعتبارية ، فتغيرت سياستها وتم ابراق الجنرال ولسلي :

«...إن غاية الحكومة الآن سحق المهدي وإخماد ثورته...» [99]

أغلب الظن ان هذا القرار الخطير غير المدروس ربما قصد به غسل الهزائم المتكررة وفشل حملة الانقاذ في مهمتها مع الخسائر الفادحة في الأرواح ، الأمر الذي أدخل حكومة غلادستون في حرج شديد وجعلها تسعى لخلق توازن بتحقيق نصر ما في أي بقعة في السودان. لذا فإن تحرك الحملة النيلية في شمال السودان وضرب الثوار في جبل كريكان والحملة الانتقامية ضد المناصير ما هو الا محاولة لتحقيق ذلك التوازن النفسي المختل للقوات الإنجليزية المندحرة في المتمة، ولتبييض وجه حكومة غلادستون أما الرأي العام البريطاني فلم يجد تبريراً لتأخير حملة الإنقاذ وتلكؤ

طابور الصحراء وإضاعته الزمن في القبة ومهما يكن من أمر فقد كان على ولسلي تنفيذ تلك السياسة فأرسل الجنرال بُلَر لقيادة جيش الصحراء وإقناع السودانيين بالوقوف إلى جانب لحكومة ، وكان ذلك ضرباً من المستحيل فمعنويات الثوار كانت في القمة بوجود سرية النور عنقرة وورود الأنباء بسقوط الخرطوم فحاول في 11/فبراير تهديد الثوار في المتمة دون جدوى ، وفي اليوم التالي كتب إلى ولسلي بأنه سينسحب إلى أبو طليح. لذا فحين جاءه الرد بسحق المتمة والتقدم شمالاً لم ينفذ تلك التوجيهات بل واصل إنسحابه إلى أبو طليح في 13/فبراير وفي 16/فبراير وصلت قوات ود النجومي المتمة وبدأت في ملاحقة جيش الصحراء المنسحب وأحدثوا خسائر في صفوفه بلغت 4 ضباط و3 جنود قتلى و23 جندياً جرحى وحتى ولسلي نفسه أوقف تقدمه نحو أبو حمد.وعاد إلى كورتي إلا أنه كان مصراً على إرجاع الخرطوم ، ربما لغسل الهزيمة النفسية النكراء والخسائر المادية في الأرواح والعتاد ، وفشل الحملة في تحقيق هدفها ، وما ترتب على ذلك من آثار معنوية مدمرة على كل المستويات في بريطانيا ، إلا أن مجلس النواب البريطاني قرر في 21/أبريل/1885م عدم استرجاع الخرطوم .

آخر هزيمة معنوية للإنجيز قبل إنسحابهم لمصر أنهم قبضوا على بعض أقارب المهدي في دنقلا وطلبوا منهم إقناع قائد الثورة بإطلاق سراح الأوربيين الذين بطرفه في عملية أشبه بتبادل الأسرى ، إلا أن المهدي رفض ذلك على أساس أن الذين بطرفه من الأجانب قد دخلوا الإسلام وصاروا أكرم عنده من أقاربه الذين بطرفهم ، لأنهم لم يهاجروا إليه ، وهو لا يقبل إرجاع مسلمين إلى أرض الكفر .

المهم هنا أن المهدي لم يتخذ قراراً فردياً - كعادته - جمع الأنصار في المسجد وشاورهم في الأمر وتلا عليهم رده المقترح ووافق المجتمعون على ذلك الرد وقد اقتنع الإنجليز بقرار المهدي وأعادوا إليه أهله عزيزين مكرمين .[100]

توفي المهدي في 22/يونيو/1885م بعد أن طوى صفحة الوجود التركي - الشركسي في السودان ، ووضع الأسس لدولة عظيمة اكتسبت شهرة ونالت رضا العالم الإسلامي منذ أيامها الأولى .

الخاتمة:

مما لا شك فيه أن العمل المعنوي بكل أشكاله ووسائله مهم للغاية في كل المجالات السياسية والاقتصادية-الاجتماعية والعسكرية وكل ما يخص الناس ومعنوياتهم . ويتميز العمل المعنوي بالاستمرارية في السلم والحرب دونما انقطاع . وقد نجح محمد أحمد المهدي في استغلال الجوانب المعنوية في ثورته وخطط لذلك منذ البداية .

ومحمد أحمد المهدي رجل حباه الله سبحانه وتعالى بصفات حميدة ومواهب في فن القيادة مما جعل معاصريه ومن كتبوا عنه يصفونه بأنه كان شخصية كارزمية يمتلك القدرة على التأثير في نفوس الناس واجتذابهم . وصفه شهود عيان من الأجانب بأنه كان خطيباً بارعاً جهوري الصوت يحرك بخطبه مشاعر آلاف الناس ، ولا تفارق وجهه الإبتسامة . كان يتمتع بذكاء وقاد ومظهر أخاذ ووضوح رؤية .

واجه المهدي عداءً سافراً من شيخه محمد شريف نور الدايم الذي وقف إلى جانب الحكومة ضده، إلا إنه وجد التأييد والمساندة من شيخه الآخر القرشي ود الزين . وحاولت الحكومة القضاء علي ثورته بتهديده وتخويفه إلا إنها لم نجد سوى صلابة مواقف المهدي والمعنويات العالية لدى أتباعه. وقد حققت ثورة المهدي نجاحاً غير مسبوق واستطاع قائدهاتأسيس دولة متكاملة البناء كان للعمل المعنوي والمعنويات فيها الدور الأعظم .

لقد أختار المهدي كردفان كموقع استراتيجي بعيد عن مركز الحكومة وفيه مركز ثقل للعناصر القبلية حيث يتمكن من حشد المجاهدين ، وظهرت استراتيجيته الإعلامية والتخطيط المبكر للعمل المعنوي بتوحيد الزي الرسمي للمجاهدين وتسجيل الزيارات الميدانية لكثير من المدن والقرى ، وبدأ نشاطه التعبوي ولقاءاته الجماهيرية في الأبيض وغيرها منفذا لبرامجه الدعوية والدعائية ، كما عقد لقاءات مع زعماء القبائل ورجال الطرق الصوفية وبث رسائله الخاصة بمهدويته وضرورة الثورة ضد الظلم والجشع والفساد . وكان المهدي في زيارته للمدن والقرى ينفذ برامج ليلية بالطواف في الشوارع وترديد الجلالات. وقد تركزت خطة المهدي الإعلامية في إقناع الناس بأهداف الثورة وتبشيرهم وذلك عن طريق التنوير المستمر وإرسال الرسائل والمنشورات وإبتعاث المناديب إلى القبائل في سائر أنحاء البلاد لدحض الشائعات والدعوة لمبايعته على الجهاد . وقد أصابت فكرته نجاحاً منقطع النظير. فالانتصارات التي حققها المجاهدون لم تتم بقوة السلاح والعتاد الحربي الضئيل فقط، وإنما بالمعنويات العالية الناتجة عن الإيمان بعدالة القضية وتبرير القتال ضد المستعمر بمجهودات المهدي في المحافظة على تلك المعنويات مما نتج عنه النصر المؤزر في معارك المهدي ضد قوات الحكومة منذ بداية المواجهة العسكرية . وحتى ما حققته الحكومة من انتصار في بعض المعارك لم يتسبب في خفض معنويات المجاهدين ويثنيهم عن الوصول لأهدافهم الاستراتيجية كتحرير الأبيض والخرطوم مثلاً. فلا توجد مقارنة بين جيش الحكومة المسلح بالأسلحة النارية الخفيفة والثقيلة وبين جيش المهدي الذي كان جل سلاحه السيوف والرماح والعصي وقليل من الأسلحة النارية بخاصة في بداية المواجهة العسكرية . وفي ذات الوقت لا توجد مقارنة بين جيش المهدي الذي كان يتمتع بالمعنويات العالية وجيش الحكومة الذي يتمتع بقوة السلاح دون وجود دوافع وطنية معنوية للقتال وثبت من البحث انخفاض معنويات ذلك الجيش وخوف الضباط والجند من قوات المهدي في كل المعارك ومحاولات الهروب وعدم بقائهم في مواقعهم في المساء خوفاً من نيران قوات المهدي .في بعض الأحيان، ولم تسجل لنا المصادر حالة هروب واحدة من معسكرات جيش المهدي .

من الواضح أن جيش المهدي كان يتمتع بقيادات فذة شاركت مع المهدي في الوصول إلى أفضل النتائج في مسارح العمليات كإصرار اليأس باشا أم برير علي عدم الانسحاب وترك الأبيض وضرورة ضرب الحصار عليها ، وإصرار بعض القادة علي عدم الانسحاب وترك الخرطوم بعد سماع المهدي بوصول طابور الصحراء ونتائج معركة أبو طليح وما أصاب المجاهدين من اضطراب كالأمير ود نوباوي الذي أصر علىاقتحام الخرطوم . وتحدث شهود عيان أجانب عن كثير من البطولات

السودانية في المعارك كالحديث عن الأمير موسي ود حلو في معركة أبو طليح ورفض الجرحى تسليم أسلحتهم للقوات الأجنبية . والزي الموحد المميز الذي يرتديه الشهداء في أبو طليح والقبة . ومن الأحداث التي أثرت علي الروح المعنوية إعدام كل من الفكي المنا أسماعيل شيخ قبيلة الجوامعة وعجيل ود الجنقاوي أحد شيوخ الرزيقات لتمردهم بسبب تقسيم الغنائم وعلى الرغم من رد الفعل العنيف مما نتج عنه رأي عام حول الخليفة عبد الله وتصرفاته إلا أن المهدي عالج القضية بخطاب عام لكل المجاهدين وانتهى الأمر نظراً لحساسية الموقف العملياتي وتطلع الناس لتحقيق الأهداف الاستراتيجية الكبرى .

نستنتج من ذلك :

1. إن العمل المعنوي والمعنويات أمر مهم لا يقل أهمية عن الجوانب المادية . وإن القوة المادية وحدها لا تكفي لتحقيق النصر الحقيقي.
2. أن قوات الحكومة لم تستند في حربها النفسية المضادة إلا على تكذيب دعوى محمد أحمد المهدي بأنه المهدي المنتظر . وهو امرلم يكن ذا تأثير ولم يأبه به المهدي، وقد تجاهلت الحكومة الدوافع الثورية الوطنية على اعتبار أنها حركة دينية ، في حين أن غردون نفسه صرح بأنها ليست حركة دينية بل هي ثورة أسبابها الفساد والقمع التركي.
3. إن غردون – رغم تصريحاته تلك لم يكن الرجل المناسب لإخلاء الحاميات المصرية من السودان بطريقة سلمية دبلوماسية تحقن الدماء ، ما أدي ضغائن واحقاد ظهرت آثارها فيما بعد .
4. أن العمل بنظام الشورى والفريق المتجانس يؤتى ثماراً أكثر من الانفرادباتخاذ القرار.
5. إن محاولة قمع الثوار بقوة السلاح لا يعني نصراً للحكومات ولا يعني ذلك هزيمة للثوار على المدى البعيد .

وعلى ذلك يوصي الباحث بضرورة الاهتمام بالعمل المعنوي بكل أشكاله عند التخطيط لأي عمل عسكري أو مدني ، وتوخي الدقة في اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب.

الهوامش:

(1) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ،5002م ، 4 أجزاء ، الجزء الثاني ، ص 252.

(2) عبد الرحمن محمد علوي ، دراسات في علم النفس الإجتماعي ، دار النهضة العربية ، بيروت، 47991م ، ص 7.

(3) عبد الرحمن بن خلدون ، مقدمة أبن خلدون ، تحقيق حامد أحمد الطاهر ، الطبعة الثانية، القاهرة ، 8341هـ- 0102م ، ص 083 -104.

(4) نفس المصدر ، ص 083.ويجدر بنا أن نذكر هنا أن الصادق المهدي في كتابه القيم (يسألونك عن المهدية) قد أورد تفصيلًا كاملًا لفكرة المهدية ورأياً جيداً في أمر المهدي المنتظر .

(5) Holt,The P.M. The Mahdist State in the Sudan 18811898- .oxford 1960, p22.

(6) عبد العزيز حسين الصاوي ، الثورة المهدية مشروع رؤية جديدة ، الخرطوم 7041هـ -7891م، ص 671.

(7) هاشم العلوي ، حركة المهدية في المغرب الإسلامي فيما بين 062هـ / 568 – 0501 هـ/461م ، في: النقر، عمر عبد الرازق ، دراسات في تاريخ المهدية، (البحوث التي قدمت للمؤتمر العالمي لتاريخ المهدية ، الخرطوم 92/نوفمبر -2/ديسمبر / 1981م ، ص ص 01 -91.

(8) ابن ضيف الله ، الطبقات ، تحقيق يوسف فضل حسن ، الطبعة الثانية ، 3791م ، ص 461- 561.

(9) Charles Eunice A,SheikhAmadu Ba and jihad in Jolof. (IJAHS) Vol. 8, 1975 No. 3 pp.367- 382.

(10) Cromer, The Earl of ,Modern Egypt. New york. Pp.367382-.Vol.I,pp352.

(11) .138-Bergue , Jacques , Egypt Imperialism and Revolution . Lindon, 1972, pp137

(12) مكي شبيكة ، تاريخ شعوب وادي النيل (مصر والسودان) في القرن التاسع عشر، بيروت ، مايو /5691م ، ص 566.

(13) محمد إبراهيم أبو سليم ، الحركة الفكرية في المهدية ، الطبعة الثانية ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ص 6.

(14) هوجوود ، ويرك، المهدية في إطار حركات التجديد الإسلامية ، في: النقر، عمر عبد الرازق ، المصدر السابق، ص 64-45.

(15) Oherwalder , F., Ten years Captivity in the Mahdi's Camp, 18821892-(London1892) pp1314-.

(16) .13-Wingate,FR,Mahdiidm and the Egyption Sudan .2nd Edition, London 1968. Pp12

(17) نعوم شقير ، المصدر السابق، ص 223-423.

(18) نفس المصدر ، 423 -523.

(19) عبد الله صالح سفيان ، المهدوية جدل الإنسان والإنتظار ، الطبعة الثانية ، ديسمبر 2102م ، ص 272.

(20) محمد سعيد القدال ، المصدر السابق، ص 64.

(21) نعوم شقير ، المصدر السابق، ص 523- 723. محمد إبراهيم أبو سليم ، المصدر السابق ، ص 61-71.

(22) نعوم شقير ، المصدر السابق، ص 623. محمد إبراهيم أبو سليم ، المصدر السابق، ص 51.

(23) هنالك فرق ما بين الدعوة والدعاية . ففي حين أن الدعوة عمل يتعلق بالفكر أو الدين والعقيدة أو المعرفة بشكل عام، وتقوم علي حقائق ومبادئ ثابتة ، فإن الدعاية قد لا ترتكز علي حقائق وثوابت في أغلب الأحيان ، كالدعاية السياسية ودعاية السلع التجارية والإعلان إلي غير ذلك . أنظر: حسين فوزي النجار، الإعلام والدعوة الإسلامية في : الفيصل ، مجلة ثقافية شهرية ، العدد 04 ، شوال /0041هـ ديسمبر 0891م ، ص 71 -12.

(24) أنظر مثلًا: خطابه إلي كافة المسلمين في السودان . نعوم شقير ، المصدر السابق، ص 35.

(25) مكي شبيكة ، المصدر السابق، ص 476. محمد سعيد القدال ، المصدر السابق، ص 35.

(26) مكي شبيكة ، المصدر السابق، ص 476. محمد سعيد القدال ، المصدر السابق، ص 35.

(27) 46-Holt, P. M., Op. cit, P45

(28) محمد سعيد القدال ، المصدر السابق ، ص 86.

(29) نعوم شقير ، المصدر السابق، ص633-733. 46-p.98Holt, P. M., Op. cit, P45.

(30) أنظر تفصيل ذلك في ابن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، الجزء الثاني، ص 452.

(31) نعوم شقير ، المصدر السابق، ص 733-833. Holt, P. M., Op. .17-Wingate, F.R.op. cit., p. 16 46-cit, P45

(32) نعوم شقير، المصدر السابق، ص 142-242.

(33) نفس المصدر ، ص 843- 943.

(34) نفس المصدر ، ص 753- 953 ، 114-214.

(35) Holt, P. M., Op. cit, P4552-

(36) حسن أحمد إبراهيم ، محمد علي في السودان ، جامعة الخرطوم (بدون تاريخ) ص 76- 17، 621.

(37) خصص المهدي الراية الصفراء وهي الراية الثالثة في الترتيب للخليفة محمد بن علي السنوسي في ليبيا ، ربما للإستعانة به في عملياته العسكرية المرتقبة ضد مصر، أو علي الأقل أن إستجابته للمهدي ستدفع من معنويات أنصار المهدي المقاتلين في أرض المعارك . أنظر: نعوم شقير ، المصدر السابق، ص 583- 683.

(38) نفس المصدر ، ص 873- 973.

(39) نفس المصدر ، ص 673-773. 46-Holt, P. M., Op. cit, P45

(40) نعوم شقير ، المصدر السابق ، ص 683- 783. 68-Oherwalder, op.cit, Ppp.67

(41) نعوم شقير ،المصدر السابق ، ص 783-883.

(42) نفس المصدر ، ص 583- 854- 954.

(43) نفس المصدر ، ص 193-293.

(44) عصمت حسن زلفو ، شبكان ، تحليل عسكري لحملة الجنرال هكس ، أبو ظبي ، أبريل 6791م، ص 66 ، 37.

(45) نفس المصدر ، ص 47.

(46) شقير ، المصدر السابق، ص 493-593. عصمت حسن زلفو ، المصدر السابق، ص 57-67.

(47) نفس المصدر ، ص 593- 87.693 Oherwalder, op. cit. -88

(48) Ibid. p. 89.48

(49) Ibid. p. 87.

(50) Wingate, F.R.op.cit., p84.

(51) Oherwalder, op. cit., p. 9597-.

(52) Ibid. p. 98.

(53) صمت حسن زلفو ، كرري ، تحليل عسكر لمعركة أمدرمان. جامعة الخرطوم ،ص 06.

(54) 52))عصمت حسن زلفو ، شيكان ، ص 901-011.

(55) Cromer,the Earl, of , Moderm Egypt, New york, 1903,2vols, vol1. P.86569153-.

(56) 54)عصمت حسن زلفو ، كرري، ص 26.

(57) Wingate , F.R. op cit, p90

(58) شقير ، المصدر السابق، ص 104.

(59) Oherwalder, op.cit., p 109.

(60) Cromer ,op. cit ., pp. 353354-.

(61) Ibid., p382387-, pp.353354-.

(62) فوزي ، إبراهيم ، السودان بين يدي غردون وكتشنر ، جزءان ، القاهرة ، صفر 9131هـ الجزء الأول ،ص 692-792.

(63) مكي شبيكة ، المصدر السابق، ص 366-466.

(64) نعوم شقير ، المصدر السابق، ص 534.

(65) نفس المصدر ، ص 344-543.

(66) نفس المصدر ، ص 634- 734.

(67) Oherwalder, op. cit., p. 138139-. Holt, P.M.,op.cit.p563.

(68) Cromer, op.cit. p490

(69) Nutting ,Anthony, Gordon Martyr and Misfit. London, pp263.

(70) شبيكة ، المصدر السابق، ص 675، 677، 681.

(71) شقير ، المصدر السابق، ص 374، 184، 287.815 Cromer ,op.cit.p564. Nutting, Anthtony, op.cit., p.

(72) Cromer ,op.cit.p563.

(73) Archer, Tomas. F.V.H.S, The war in Egypt and the Sudan, London, 4 vols.vol.3p217.

(74) Nutting, Anthony, op. cit.p270

(75) عبد الله علي إبراهيم ، الصراع بين المهدي والعلماء والخرطوم ، 6691/1/21م ، ص 22-32. نعوم شقير ، المصدر السابق، ص 026- 836.

(76) نفس المصدر ، ص 594.

(77) نعوم شقير ، المصدر السابق، ص 02 –wingate, F.R. op. cit, p15.

(78) نعوم شقير، المصدر السابق، ص 225-325.

(79) Macdonald, Alex.F.R.G.S.Too late for Gordon. London1887, pp.209, 246-247. Ancher,Tomas,op.cit.,pp2-5.

(80) Ibid., p65

(81) سعيد عبد الرازق حسن وأخرون ، معركة أبو طليح ، 5 يناير2000م،ص 95 -06.

(82) Ancher, tomas.Op. cit., p47.Glechen, Count ,with the Camel Corps up the Nile . London 1888, p.147.

(83) Nutting , Anthony , op. cit., p294.

(84) (Macdanald, op.cit.p18.

(85) Ancher,Tomas,op.cit.,p18

(86) Macdonald, op.cit.238240-.

(87) Ancher,Tomas,op.cit.,p12.

(88) Macdonald, op.cit.p237.

(89) Glechen , Count, op.cit, p 131132-.

(90) Ibid , p 136.

(91) شقير ، المصدر السابق، ص 115-215.Glechen , Count, op.cit, p 131-132.

(92) Ibid , p 149.

(93) Ancher,Tomas,op.cit.,p5775-74-.

(94) Macdonald, op.cit.p 290.

(95) Ancher,Tomas,op.cit.,p 76.

(96) Nutting , Anthony , op. cit., p169.

(97) Ibid , p 167. Wingate, F.R.op cit., 160167-164-.

(98) Holt, P. M., Op. cit, p 9596-.

(99) Nutting , Anthony , op. cit., p 304.

(100) شقير ، المصدر السابق، ص 135.

(101) نفس المصدر ، ص 145.

(102) نفس المصدر ، ص 345.

(103) نفس المصدر ، ص 345.